



الكنز الضائع

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العيون

ح) مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي ، أحمد عبد السلام

الكتز الضائع . - الرياض .

... ص ؛ ... سم . - (سلسلة كتاب الشباب)

ردمك ١ - ٢٣٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١ - القصص البوليسية العربية أ - العنوان ب - السلسلة

١٧ / ٠١٣٨

ديوي ٨١٣ ، ٠٨٧٢

رقم الإيداع : ١٧ / ٠١٣٨

ردمك ١ - ٢٣٢ - ٢٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

الطبعة الثانية - مكررة

٢٠٠٠م / ١٤٢٠هـ

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

عادَ الفَتَى المختارُ أغلُولُ إلى بَيْتِهِ يَجْرِي وَيَكادُ يَطِيرُ مِنْ
الفرحِ ! دَفَعَ البابَ ودخَلَ على أُمِّهِ الحاجةِ زهرةٍ لاهثًا وصاحَ :

- أُمِّي ، لقد ختمتُ القرآنَ !

فانفتَحَ فَمُها ، ونظرتُ إليه مندهشةً ، وسألتهُ غيرَ مصدقةٍ :

- أحقًا ، يا ولدي ؟!

- واللَّهِ العظيمِ ، يا أُمِّي ! ختمتهُ كتابةً وحفظًا . أخبرني
بذلكَ فقيهنَا السيدُ الطاهرُ اليومَ بعدَ أن ختمتُ قراءةَ
السُّلْكََةِ (١) أمامه ، دونَ توقُّفٍ أو خطأٍ ! وقد طلبَ مِنِّي أنْ
أقولَ لكِ أنْ تُقيمي لَنَا حفلَ الختْمَةِ (٢) ، بعدَ صلاةِ الجمعةِ
القادمةِ . وسيحضرُ الفقيهُ وجميعُ الطلبةِ (٣) إلى بَيْتِنَا لأَكلِ

الكسكسِ !

(١) السُّلْكََةُ : قراءةُ كاملةٍ للقرآنِ .

(٢) الختْمَةُ : ختمَ حفظَ القرآنِ الكريمِ .

(٣) الطلبةُ : تلاميذُ الكُتَّابِ القرآنيِّ .

فتحت الأم ذراعيها، وضمتها إلى صدرها، وانهمرت دموع
السعادة غزيرة من عينيها. كان ذلك اليوم من أسعد أيام
حياتها، لا يعادله إلا يوم ولدته!

كانت الحاجة زهرة من بيت علم ودين. توفي أبوها الفقيه
سيدي المختار الراضي، فاضطرت إلى الزواج من تاجر كبير
السن، ماتت عنه زوجته، وتركت له ولدين بالغين.

وبعد صلاة الجمعة حضر طلبة الكتاب، يتقدمهم الفقيه
الطاهر، وهم ينشدون نشيد الختمة بأصوات عالية...
وقدمت لهم والدة المختار قصاع الكسكس باللحم والخضر،
وأتبعته بكؤوس الشاي الحلو المنع (١). وبعد الشاي فتح
الفقيه سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ وبعدها رفع الجميع أكتفهم بالدعاء
للمختار الراضي بالفتح والنجاح... وأرسلت السيدة زهرة إلى
دار الفقيه قصعة كسكس وقالب (٢) سكر، وطلبت منه نصح
ابنها المختار بما ينبغي أن يفعله بعد أن ختم القرآن الكريم.

(١) المنع: الذي أضيف إليه المنع.

(٢) قالب السكر: قطعة أسطوانية من السكر الصلب.

كانت حريصةً على أن يكون ابنها عالماً جليلاً، مثل جدّه الذي علّمها القرآنَ وبعضَ الحديثِ النبويِّ. لم تكن ترغبُ في أن يصبحَ تاجراً بسيطاً بلا طموح، مثل أبيه الأمي المشغول بجمع المال، ولا مثل أخويه من أبيه مرزوقٍ ومسعودٍ... فصحّه الفقيهُ بحفظِ متونِ الدينِ والنحوِ واللغةِ، قبلَ التوجّهِ إلى جامعةِ القرويينَ بفاسٍ.

كانَ أخوَاهُ ورِيثينَ حقيقيينَ لأبيهما في الشّراهةِ وحبِ المالِ! وكانا يكرهانِ زوجةَ أبيهما زهرةً؛ لأنّها خلقتُ والدتها الميتةَ، وضايقتُهما في ثروةِ والدهما، بوجودِها وبالطفلِ الجديدِ المختارِ. وحينَ ماتَ والدهما استوليا على كلِّ شيءٍ واختفيا... وعادتُ زهرةٌ إلى بيتِ أبيها، وكرّستُ بقيّةَ حياتها لتربيةِ الطفلِ النبيه الوسيمِ.

وبعدَ حفظِهِ المتونَ، نصحهُ معلمُهُ بالذهابِ إلى تارودانت، عاصمةِ المنطقةِ العلميّةِ، لدراسةِ العلومِ الدينيّةِ والعربيّةِ. وهناكَ كانتُ أمُّهُ ترسلُ إليه كلَّ ما كانَ يحتاجُ إليه من مؤونةٍ ونقودٍ. وكانَ هوَ يعودُ مشتاقاً إليها وإلى قريتهِ وأصدقائهِ في كلِّ عطلةٍ مدرسيّةٍ.



وفي أحد الأيام جاء من أخبره بوفاة والدته الحبيبة العزيزة،
فانهار عالمه . . . ووقف على قبرها يبكي وحيداً، وقلبه يكاد
يتفطر حزناً وضياعاً . . . وجاء معلمه، فأحاطه بذراعه،
وأخبره أن أخويه مرزوقاً ومسعوداً موجودان في مدينة العرائش
بالمنطقة الشمالية، ونصحهُ بأن يذهب إليهما، ويطالبهُما بحقه
في تركة والده. وكتب له رسالة إليهما، يذكرهُما فيها بأحكام
الشرعية، ويهددُهُما تهديداً ضمنياً بالمتابعة أمام القضاء.
وساعده على الحصول على جواز سفرٍ يجتاز به الحدود بين
منطقتي الحمايتين الفرنسية والأسبانية.

* * *

كان الأخوان مرزوق ومسعود قد هربا ليلاً بأموال أبيهما في
نهاية عام ١٩٣٩م، دون أن يخبرا أحداً بوجهتهما. وقامت
الحرب العالمية الثانية فانقطعت الصلات بين المنطقتين،
وساعدت على إخفاء وطمس أثرهما. فقد أخذت أسبانيا
جانبا ألمانيا في الحرب ضد فرنسا، وأغلقت الحدود بين
المنطقتين المغربيتين . . .

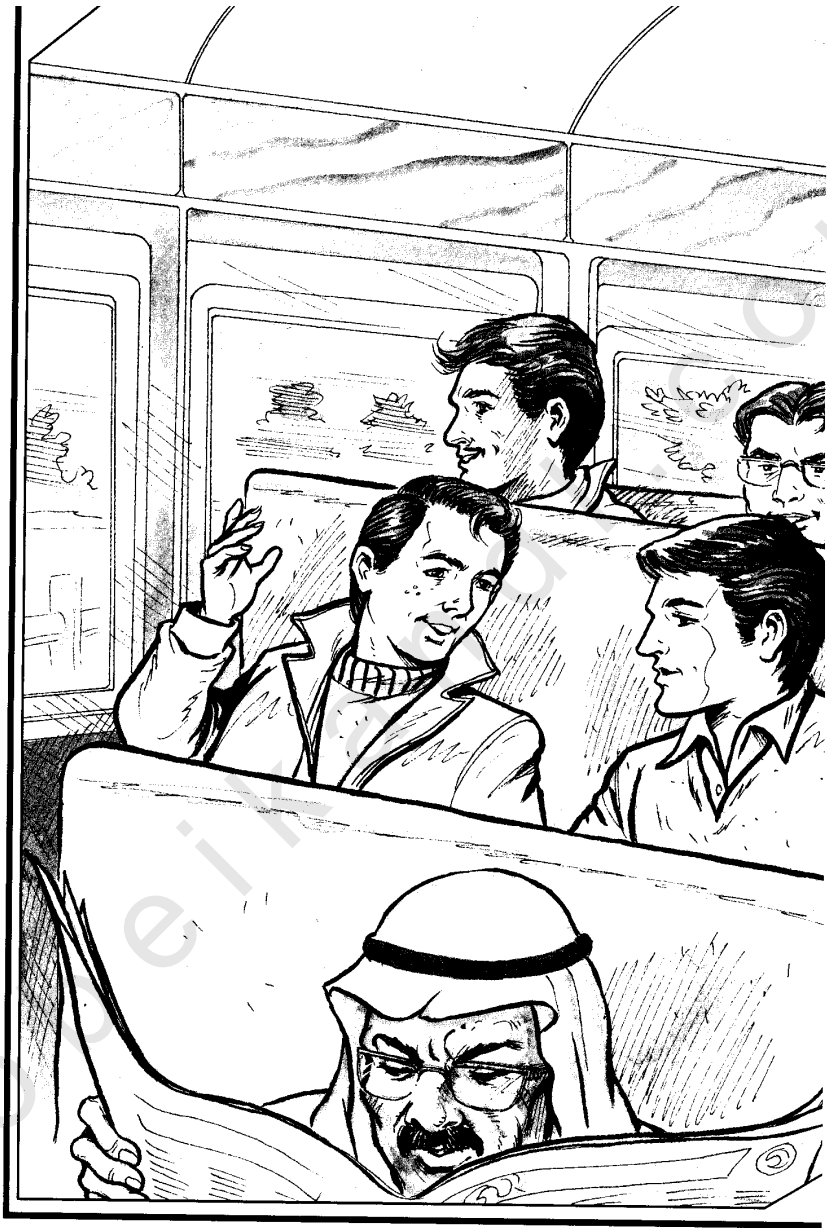
وفي مدينة العرائش استطاعا أن يؤسسا شركة نقل مهمة،
واقتنيا عدداً من الناقلات الكبيرة التي كانت تربط بين
العرائش والمدن والأسواق المجاورة لها.

وكانا شديدي البخل، يعيشان على الشاي والخبز
والزيتون، ولا يملكان إلا بلغة^(١) واحدة، يستعملها من
يغادر الدكان، لقضاء حاجة ما، ويبقى أخوه حافي القدمين،
حتى لا يقفل الدكان... وبذلك استطاعا تكديس ثروة
طائلة لا يعرفان مداها...!

ولما كانا لا يثقان في البنوك، ويخافان من دفع الزكاة
والضرائب فقد كانا يحتفظان بأموالهما في شكل أوراق نقدية من
فئة ألف بسيطة، في خزانة حديدية داخل حائط، وراء قطعة
أثاث كبيرة...!

وكان شحهما مضرِب الأمثال، وهدفاً لكثير من التشنيع
والتنكيت! ولم يتزوجا خشية الإنفاق على الزوجة والأولاد.
ولكنهما اضطرراً إلى الزواج بعد أن أصبحت المدينة تعدُّهما

(١) البلغة: الخداء المغربي الأصفر المفتوح من الخلف.



- بالرغمِ مِنْهُمَا - من أعيانِهَا ! وبنِيَا فوقَ الدكانِ شقتينِ صغيرتينِ ، واشترِيَا بُلغتينِ .

كَانَ الفَتَى المَخْتَارُ أَغْلُولُ فِي الثَامِنَةِ عَشْرَةَ حِينَ سَافَرَ المَسَافَةَ الطَوِيلَةَ بَيْنَ تَارُودَانَتِ وَالعَرَائِشِ بِالقَطَارِ . وَكَانَتِ الحَرْبُ قَدْ وَضَعَتْ أوزَارَهَا ، فَاسْتَطَاعَ اجْتِيَازَ الحُدُودِ بَيْنَ عَرَبَاوَةَ وَالقَصْرِ الكَبِيرِ . وَنَزَلَ بِالقَصْرِ الكَبِيرِ بِحَقِيقَتِهِ الحَشْبِيَّةِ ، وَرَكَبَ حَافِلَةَ أَغْلُولِ إِلَى مَدِينَةِ العَرَائِشِ . وَخَفَقَ قَلْبُهُ حِينَ قَرَأَ اسْمَهُ العَائِلِيِّ أَغْلُولِ بِالعَرَبِيَّةِ وَالأَسْبَانِيَّةِ عَلَى حَافِلَةِ أَخُوِيهِ .

وَفِي الحَافِلَةِ جَلَسَ بِجَانِبِهِ فَتَى فِي سِنَّهُ تَقْرِيبًا ، فَسَأَلَهُ المَخْتَارُ هَلْ يَعْرِفُ صَاحِبِي الحَافِلَةِ ؟ فَضَحِكَ الشَابُّ ، وَقَالَ : « النَّاسُ يَسْمُونَهُمَا هُنَا بِالجُلْدَتَيْنِ ، لِشِدَّةِ بَخْلِهِمَا . . . وَيُحْكُونَ عَنْهُمَا الحِكَايَاتِ وَالنَّوَادِرَ المُضْحِكَةَ ، فَيُحْكُونَ عَن مَرزُوقِ الذِّي سَقَطَ مِنْهُ قَرَشٌ مِنْ نَافِذَةِ مَنْزِلِهِ بِالدَّوْرِ الثَّالِثِ ، فَنَزَلَ يَجْرِي حَتَّى لَا يَسْبِقُهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَانْحَنَى يَبْحَثُ عَنْهُ ، فَسَقَطَ القَرَشُ عَلَى قَفَاهُ ! » .



وَضَحِكُ المَخْتَارُ ضَحْكَةً مَجَامِلَةً صَفْرَاءَ، فَعَادَ الفَتَى يَحْكِي
نَكْتَةً أُخْرَى، ظَنَّ مِنْهُ أَنَّ المَخْتَارَ لَمْ يَفْهَمْ الأَوَّلَى، قَالَ: «مَسْعُودٌ
وَمَرْزُوقٌ يَضَعَانِ مِرَاةً فِي دَرَجِ الفَلُوسِ. أَعْرِفُ لِمَاذَا؟ حَتَّى
يَتَأَكَّدَا مِنْ أَنَّهُمَا اللِّذَانِ يَفْتَحَانِهِ!».

وَكَانَ بَجَانِهَا فَتَى يَنْصِتُ وَيَضْحَكُ، فَقَالَ: «وَيَحْكِي أَنَّ
أُمَّهُمَا جَاءَتْ لَزِيَارَتِهِمَا، فَفَرَحَا بِهَا، وَسَأَلَاهَا مَاذَا تَرِيدُ أَنْ
تَشْرَبَ؟ وَحِينَ طَلَبْتُ كُوكَا كُولَا، سَأَلَاهَا: هَلْ جِئْتَ بِالزَّجَاجَةِ
الفَارِغَةِ؟!».

وَلَمْ يَلَاظِ الفَتَى انْقِبَاضَ المَخْتَارِ وَعَدَمَ تَجَاوِبِهِ، فَظَلَّ
يَحْكِيَانِ بِصَوْتٍ مَرْتَفِعٍ، خُصُوصًا حِينَ أَخَذَ بَقِيَّةَ الرِّكَابِ
يَضْحَكُونَ مِنَ النِّكَاتِ وَيَسْتَزِيدُونَ. . . وَتَكَلَّمَ شَابٌّ مِنْ
خَلْفِهَا قَائِلًا: «أَنَا سَمِعْتُ أَنَّ الأَخْوِينَ وَرثَا الشُّحَّ عَنْ أَبِيهِمَا؛
فَقَدْ قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ، جَمَعَ أولَادَهُ السَّبْعَةَ حَوْلَهُ،
وَأَخَذَ يَسْأَلُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ، وَحِينَ أَجَابُوا جَمِيعًا، صَاحَ
فِيهِمْ: وَمَنْ تَرَكْتُمْ فِي الدِّكَانِ، يَا أولَادَ السُّوقِ؟!».

وَأَضَافَ الفَتَى الأَوَّلُ: «فَعَلًا! فَقَدْ سَأَلُهَا، مَرَّةً، كَمْ سَاعَةً
يَفْتَحَانِ الدِّكَانَ؟ وَحِينَ أَجَابَا بِأَنَّهَا يَفْتَحَانِهِ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ
سَاعَةً فِي اليَوْمِ قَالَ لَهَا: بَيْعَا البَابِ!».

وقال الفتى الأول: «أعرفون كيف مات الأب؟ مات ويده مرفوعتان إلى أعلى! لأنه كان يرفع باب الدكان، حين اكتشف أنه تعرّض للسرقة!». .

وأضاف الفتى الثاني: «أعرفون ماذا كان أبوهما يرى حين كان يفتح باب الدكان؟ يرى الشارع! فقد كان ينام في الدكان!». .

وانطفأت شعلة الشوق والفخر في صدر المختار بأخويه الناجحين، وعزّ عليه أن يصبح مسخرة لأهل هذا البلد البعيد الغريب، ويمرغ اسم العائلة في الأوحال . . .

ومع ذلك مسح دموعه، وكبت الرغبة في العودة من حيث أتى، وذهب إليهما في دكائهما. ووقف على باب الدكان ينظر إليهما لعلّه يتذكرهما. وكانا قد تركا لحيتهما تطولان، توفيرا لشفارات الخلاقة وادعاء للورع والتدين! فتعرّفهما رغم طول العهد بهما. ووقف ينتظر حتى انتهيا من بيع أوراق الحافلة الخارجة، ونظر إليه أخوه مرزوق وسأله دون أن يبدو عليه أنه تعرّفه:

- ماذا تريدُ؟

فابتسمَ المختارُ، وقالَ :

- ألمَ تعرفِني؟! أنا المختارُ، أنا أخوكِما الصغيرُ. . .

وانضمَّ مسعودٌ إلى مرزوقٍ، لينظرَ إلى هذا المخلوقِ الغريبِ
الذي يدَّعي أَنَّهُ أخوهُما، فقالَ مرزوقٌ :

- يفتحُ الله ! نحنُ ليسَ لنا إخوةٌ !

- فكَبَتَ المختارُ الطعنةَ، وأعادَ الكَرَّةَ :

- طبعًا أنتمَا لا تذكرانِني، فقدَ تركتُما البلدَ وأنا طفلٌ

صغيرٌ. . .

فقالَ مسعودٌ :

- اذهب، يا ولدي، اذهب . الله يُسهِّل . . .

فأخرجَ المختارُ جوازَ سفرِهِ، ووجَّهَهُ إليهِما قائلاً :

- انظرا، هذهِ صورتي، وإلى جانبِها اسمي، المختارُ بنُ

إبراهيمَ أغلول .



وقربَ الجوازَ منهما، فلمَ ينظرًا إليه . . . وتذكرَ المختارُ رسالةَ
الفقيهِ السيدِ الطاهرِ، فأخرجَهَا من جيبِهِ، ومدَّهَا إِلَيْهَا،
فامتنعَا عن أخذِهَا، وكأَنَّهَا عقربٌ ! قَالَ المختارُ:

- إِنَّهَا رِسَالَةٌ مِنْ فُقَيْهِكُمَا، السَّيِّدِ الطَّاهِرِ!

ولمَ يظهرْ على وجهيهما أثرُ لمعرفَةِ الرجلِ . ففتَحَ الرِسَالَةَ،
وقرَأَهَا عَلَيْهِمَ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى خَاتِمَةِ الرِسَالَةِ الَّتِي أَنهَاهَا الفُقَيْهُ
بِالآيَةِ الكَرِيمَةِ ﴿فَأَمَّا الِيتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ *
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ صدقَ اللهُ العَظِيمَ . ورأى مرزوقٌ
زبونًا قادمًا - وكانَ أشرسَ الأخوينِ - فخطَفَ الرِسَالَةَ مِنْ يَدِ
المختارِ ومزَّقَهَا، وألقىَ بِهَا ورَاءَهُ، وصاحَ فِيهِ:

- اذْهَبْ، أَوْ أَدْعُوكَ الشَّرْطَةَ !

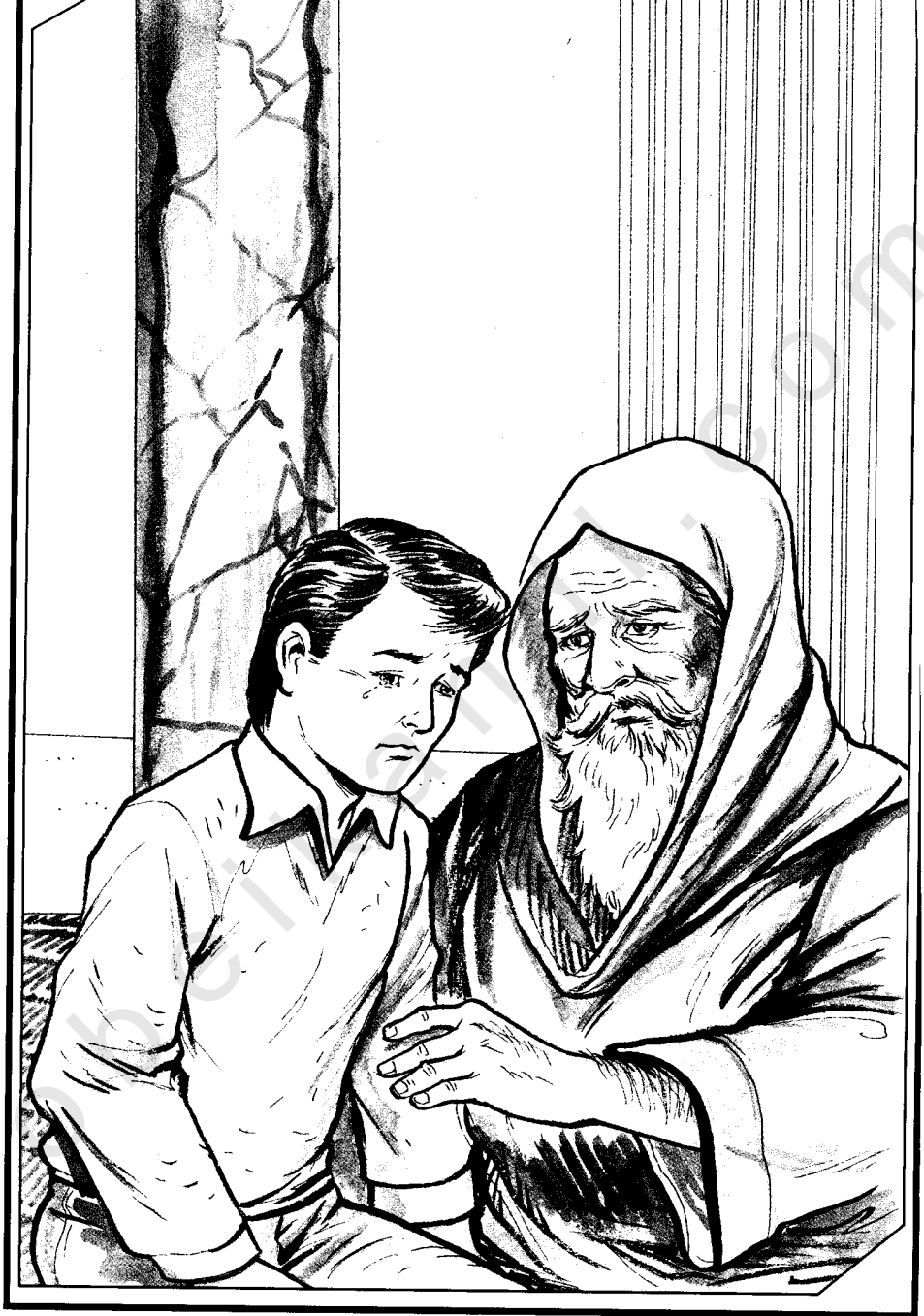
وأحسَّ المختارُ بالقهرِ الشَّدِيدِ وبالدموعِ تَظْفُرُ مِنْ عَيْنَيْهِ،
رغمَ إرَادَتِهِ ! كَانَ مَوْفُقُهُمَا القَاسِي لا يَعْنِي فَقَطْ إِنْكَارَ أَخُوْتِهِ
وحرمانَهُ مِنْ إرْثِ أَبِيهِ، بَلْ كَانَ يَعْنِي أَنَّهُ أَصْبَحَ بِلا مَأْوَى وَلا
أهلٍ فِي ذَلِكَ البَلَدِ البَعِيدِ عَن قَرِيْبَتِهِ بِالْجَنُوبِ، وَبِلا مالٍ



للإقامة في فندقٍ، أو العودة من حيث أتى! ولم يكن له طمعٌ في
استرجاع نصيبه من الإرث، بقدر ما كان يريد أن تكون له
أسرةٌ وأهلٌ . . .

وأقنذه أذانُ العصرِ من صدمته، فذهب إلى أقربِ مسجدٍ
ليصلي، ويُفكّرَ فيما عليه أن يفعل ثمَّ صلى المغربَ وراءَ
إمامٍ مهيبِ الطلعة، ذكره بجدّه لأمّه، كما رآه في الصورة،
وكما كانت تحكي له عنه أمّه. ولم يفّت الإمامَ أن يلاحظَ وجوده
بين المصلّين الدائمين، فوجّه إليه تحيةً خاصّةً. ولاحظَ احمرارَ
عينيه، ولكنه لم يقل شيئاً. وبعد الصلاة جلس المصلّون في
نصفِ حلقةٍ حولَ المحرابِ، لقراءةِ الحزبِ، فجلسَ بينهم،
وقرأ معهم دونَ تعثُرٍ ولا تردُّدٍ. وكان الإمامُ يسترقُّ النظرَ إليه،
وهو جالسٌ جنبَ المحرابِ، على لبدته الخضراءِ .

وحين ختمَ القراءَ الحزبَ وانصرفوا، استبقاه الإمامُ، وسأله
هل هو قادمٌ جديدٌ إلى المدينة؟ فوفقتُ غصّةً حاميةً في حلقِ
الفتى، ولم يتمالك دموعه، فأخذ الإمامُ يهدّئه، ويطيبُ
خاطرَه، حتّى كفَّ عن البكاءِ ومسحَ دموعه، وحكى للفقيرِ
قصّته الحزينة، فقال له الرجلُ باسمًا:



- لا تحزن، يا ولدي... الله كريمٌ، ولن يتخلى عنك!
وسياخذُ حقَّكَ مِنَ الظالمينِ! والآنَ، ستذهبُ معي إلى دارِي،
فعندي ولدٌ في مثلِ سنِّكَ، وغداً مدبرٌها حكيمٌ...

وعلى مائدةِ العشاءِ تبيَّنَ الإمامُ مُحَمَّدُ الكورفِطِيُّ، من طريقةِ
أكلِ المختارِ وحركاتِهِ المهدبةِ أنَّ الفتى كان متمدناً وذا تربيةٍ
حسنةٍ. ومن حديثِهِ معه أدركَ أنَّه لم يكن يحفظُ القرآنَ عن ظهرِ
قلبٍ فقط، بلُ ويستظهرُ عدداً من الأحاديثِ النبويَّةِ والمتونِ
الدينيَّةِ واللغويَّةِ والحسابيَّةِ والفلكيَّةِ..!

وفي الصباحِ خيرُهُ الإمامُ بينَ أنْ يشتريَ له تذكرةَ عودةٍ إلى
قربتِهِ، أو يجِدَ له عملاً كمدرِّسٍ للقرآنِ والمتونِ في مكانٍ قريبٍ
من المدينةِ، حتَّى يحصلَ له على منحةٍ للدراسةِ بالمعهدِ الدينيِّ
بالعرائشِ، فاختارَ الفتى البقاءَ على العودَةِ خائباً إلى قربتِهِ التي
لم يعدَ له فيها قريبٌ.

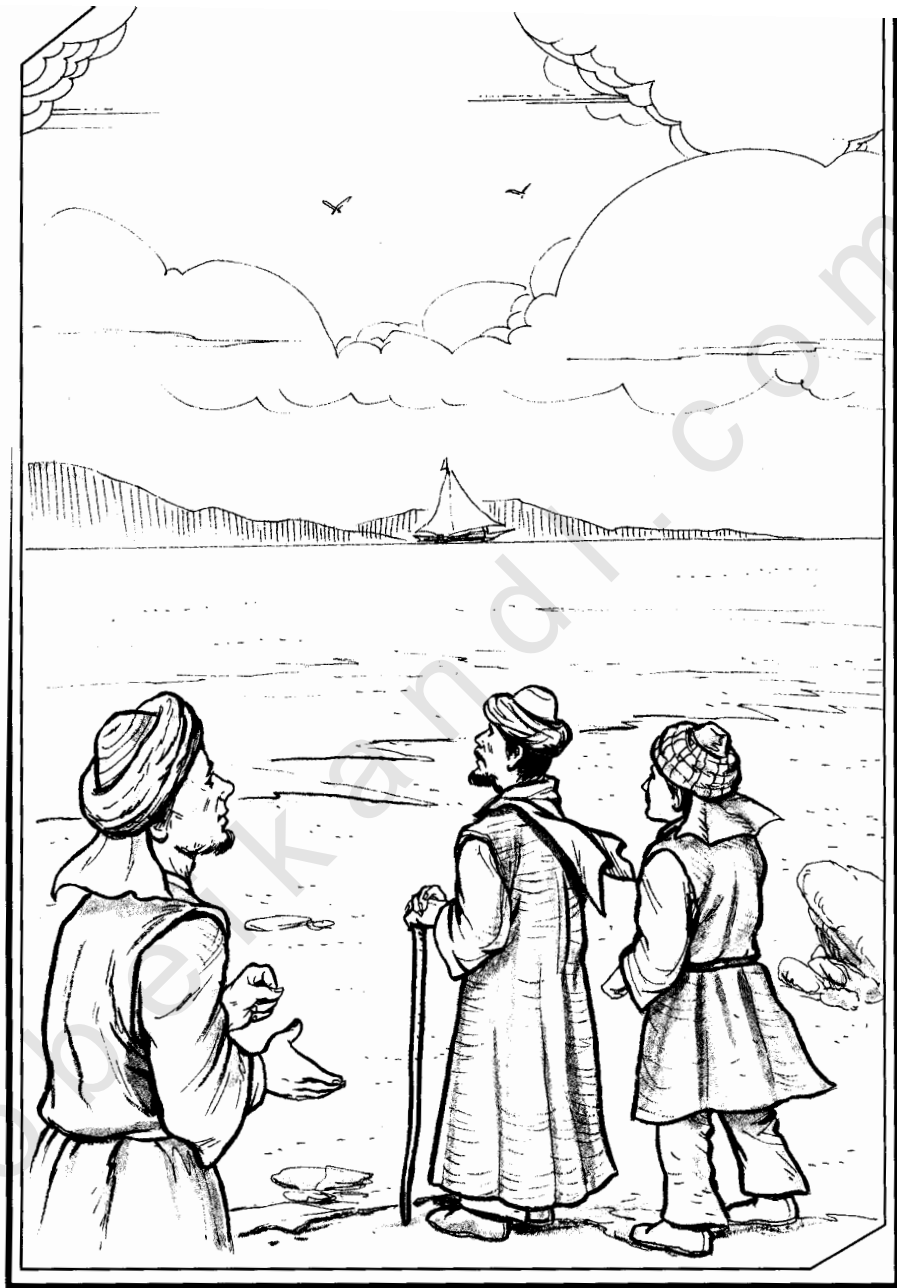
وكانَ اليومُ الموالي يومَ خميسٍ، فأخذَهُ الإمامُ إلى موقفِ
السياراتِ، وأوصى به أحدَ التجارِ الذاهبينَ إلى سوقِ خميسٍ
الساحلِ، شمالَ العرائشِ، على الطريقِ المؤدِّيَةِ إلى أصيلةِ

وطنجة، ليسلمه إلى صديق له من قرية «دشر الرواح» القريبة من السوق، وأعطاه رسالةً إلى شيخ القرية، السيد عبد الله غيلان.

كانت الأحداث تجري من حول المختار أغلول بسرعة أنسته مشكلاته وهمومه، وأحسّ بدفء هؤلاء الناس الطيبين وحُبهم للخير ورغبتهم في السعي فيه، لا طمعاً في دنيا، ولكن ابتغاء مرضاة الله.

* * *

وقضى بياض نهاره في سوق الخميس الأسبوعية. وبعد صلاة العصر توجه صحبة الشيخ عبد الله غيلان وجماعة من القرويين إلى «دشر الرواح» على ظهور البهائم. لم تكن هناك طريق سيارات توصل إليه، كانت طريق الراجلين تخرق غابة صفاصاف وفلين كثيفة. وحين اقتربوا من القرية دخلت القافلة غابة من الصخور المساء العالية والقصيرة، وتعرجت أمامهم الطريق بينها.



وفجأةً لاحَ لهم المحيطُ الأطلسيُّ الممتدُّ الهائلُ ، وقد أوشكَ
قرصُ الشمسِ الأرجوانيُّ الضخمُ أن ينزلَ في الماءِ . وكانَ الماءُ
أحمرَ قانيًا ، تتراقصُ فوقه صحائفٌ من ذهبِ الأصيلِ ، تخلبُ
الألبابَ . . . وخشعتْ نفوسُ القرويينَ ، فارتفعتْ أصواتهمُ
بالآيةِ القرآنيةِ الكريمةِ : ﴿والأنعامَ خلقَهَا لكم فِيهَا دِفءٌ
ومَنافعٌ ومِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ
تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالغِيهِ إِلَّا بَشِقًا
الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

وانبهرَ المختارُ للمشاهدِ الطبعيةِ الرائعةِ التي لم يرها من
قبلُ ، ولأصواتِ هؤلاءِ القرويينَ الطيبينَ الذينَ يعبرُونَ بذكرِ
اللهِ عن حُبِّهم له ولبديعِ خلقِهِ ، وأحسَّ وهو يرفعُ صوتهَ معهمُ
بالتلاوةِ بالدموعِ تترقرقُ من عينيه . . .

ومعَ المغربِ دخلتِ القافلةُ الصغيرةُ قريةَ «دشرِ الرواحِ»
ذاتِ الأكواخِ البيضاءِ ، وتوجَّهَ به الشيخُ رأسًا إلى المسجدِ ،
حيثُ كانَ الناسُ ينتظرونه لإقامةِ الصلاةِ .

وسارت الأمور بسرعة بعد الصلاة، فقدمه الشيخ إلى مدرس القرآن العجوز المريض. ورحب به هذا كمساعد له، وقدم له تلاميذه، وقاده إلى الغرفة الملحقه بالجامع المخصصة لإقامته، وأخبره بأنه سيعيش على «المعروف»، أي ما يقدمه أهل تلاميذ القرية من طعام وكساء ونقود في المناسبات.

ووجد في المسجد خزانة بها عدد من أمهات الكتب، فأقبل على قراءتها بنهم، خصوصاً مع عدم وجود تسليية أخرى، غير الحديث إلى الناس والتجول في الغابة وعلى شاطئ المحيط.

* * *

وبعد بضعة أشهر من حلوله بالقرية توفى المعلم العجوز، وأخذ هو مكانه، كما كان متوقعاً، ووجد المختار في التعليم لذة عظيمة..! كان يحس كأنه بستان يتعهد أزهاراً بشرية جميلة، ويراها تفتح كل يوم أمام عينيه.

ومرت الأيام، واشتد حنينه إلى قريته البعيدة بالجنوب، ولكنه كان كلما فكّر في العودة تذكر أنه لم يعد له بها أحد إلا

أقاربُ أبعدونَ، لا يعرفُهُم ولا يعرفونهُ، فكانَ يبكي وحدهُ في
جوفِ الليلِ، حتّى يغلبهُ النومُ . . !

وذاتَ يومٍ جاءَ من أخبرَ أهلَ القريةِ أنَ الفرنسيينَ نفّوا ملكَ
البلادِ الشرعيِّ، محمدًا الخامسَ، إلى مدغشقر، وولّوا بدلا عنه
لُعبةً من لعبهم تدعى محمدَ بن عرفة، وأنَّ الطريقَ بينَ الشمالِ
والجنوبِ انقطعت، ولم يُعدِ المختارُ يفكّرُ في العودةِ إلى قريتهِ،
بل أصبحَ يفكّرُ في الالتحاقِ برجالِ المقاومةِ في الجبالِ. ولكنَّ
معلوماتِهِ عمّا كانَ يحدثُ كانتُ محدودةً جدًّا، فاكتفى بقراءةِ
الجرائدِ، والإنصاتِ إلى الإذاعاتِ، في انتظارِ فرصةٍ
مواتيةٍ . . .

كانَ المغربُ، في هذهِ الأثناءِ، يمرُّ بمرحلةٍ مخاضٍ عسيرةٍ؛
فقدَ قامَ المغاربةُ لمقاومةِ الاحتلالِ، وتكونتِ الخلاياُ الفدائيةُ في
المدنِ، ثم بدأتُ تتكوّنُ فرقُ جيشِ التحريرِ في البوادي
والجبالِ، خصوصًا جبالَ الريفِ الشرقيّةِ.

ولم تمرَّ سنتانِ وشهرانِ وبضعةِ أيامٍ على نفيِ محمدٍ الخامسِ،
حتّى جاءَ من أخبرَهُم بعودتهِ منصورًا من منفاهُ . . . فخرجَ

الناس يحتفلون بالدفوف والمزامير، ويرقصون في أزقة القرية
ويتعاقون...!

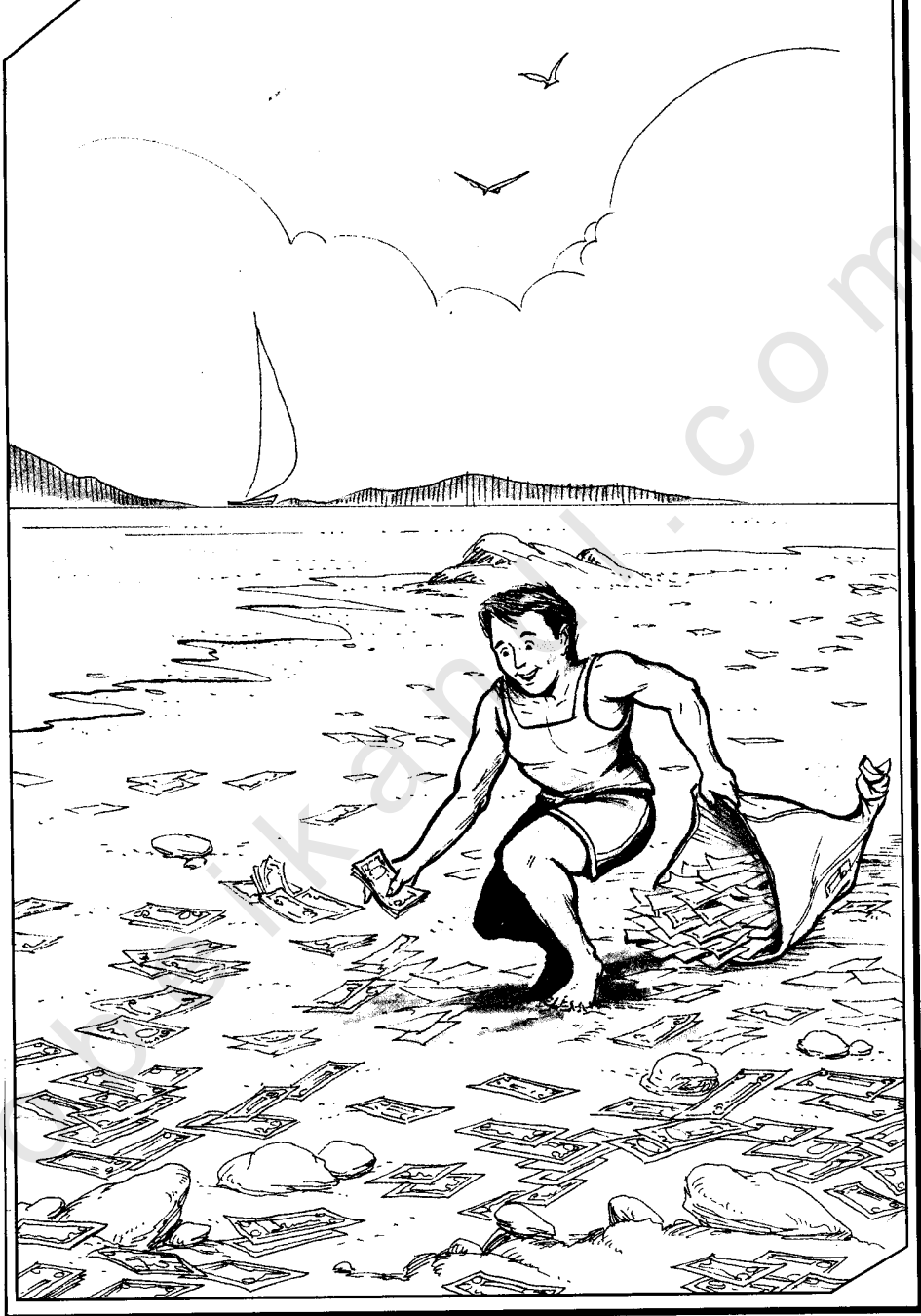
أما مرزوق ومسعود فقد أحسَّ بأن التغيير الجاري في سياسة
البلد قد لا يكون في صالحهما، خصوصاً حين تخلَّص المغرب
من حمايتي فرنسَا في الجنوب وإسبانيا في الشمال، وجاء حكام
مغاربةً بدلا عن الأسبانيين الذين كانا يعرفان كيف يتفاهمان
معهم.

ونزلت المصيبة حين أُعلن عن تغيير العملة الأسبانية
«البيسطة» بالفرنك المغربي، لتوحيد العملة، وخرج
المنادون في الشوارع يطلبون من الناس أخذ نقودهم إلى
البنوك لتغييرها. ولم يجد الرجال بُدًّا من أخذ أطنان
«البيسطة» الأسبانية التي ادَّخروها مدة ثلاثين سنة في
خزائنها البدائية الخاصة تحت الأرض، على شكل رُزْمٍ
سميكةٍ مربوطةٍ بالحبال!

وفي قريةٍ دشرِ الرواح نزل المختار بعد صلاة الفجر
والإفطار إلى البحر للاستحمام والهروب من حرِّ القرية، وكان

البحرُ في جزره الأقصى ، والشاطئ خاليًا تمامًا إلا من بعض
النوارس ، ولم يكذِّ يقترب من الشاطئ حتى لاحظ شيئًا غير
عاديٍّ، رأى الرمالَ مغطاةً بأوراقٍ صغيرةٍ ملونةٍ في حجم
واحدٍ، وحينَ اقتربَ منها، واستطاعَ تمييزَها، وجدَ أنها أوراقٌ
ماليةٌ من فئةِ ألفٍ بسيطةٍ، وقد جففتها شمسُ الصباحِ
الناعمةُ، فدقَّ قلبه بعنفٍ، وانحنى، فالتقطَ واحدةً، فإذا
هي ورقةٌ ماليةٌ حقيقيةٌ!

وأصيبَ بنوعٍ من الهوسِ، فأخذَ يجمعُ ويجمعُ، ويكدِّسُ
على الأرضِ، ثم نزعَ جلبابَهُ، وربطَهُ من عُنُقِهِ ويديه، وأخذَ
يخشوهُ حتى امتلأ، وحشا قميصه وسرواله الفضفاض، وحملَ
كُلَّ ذلكَ إلى مغارةٍ قريبةٍ، وحاولَ أن ينادي أهلَ القريةِ،
ولكنَّهُم لم يسمعوه من ذلكَ الارتفاعِ الشاهقِ، خصوصًا
وصوتُ تكسّرِ أمواجِ البحرِ يُعْطِي ما عداهُ من أصواتٍ! ولم
يزلَّ يجمعُ وينقلُ إلى المغارةِ حتى أنهكه التعبُ والجوعُ...
ولكنه كانَ قد أبعدَ جميعَ الأوراقِ عن خطِّ المدِّ، ولم يبقَ خطرٌ
في أن يعودَ البحرُ لأخذها.



ولم يرفع رأسه عن الالتقاط والتكديس في المغارة إلا حين
نزل الظلام، وغطى المكان. ولحسن حظّه كان اليوم يوم سوق،
ولم ينزل أحدٌ من أبناء القرية إلى الشاطئ، فحمل جلبابه
المحشو برزَم الأوراقِ المِاليةِ، وتسلَّق الجرفَ العِالي إلى القرية.

وهناك وجد شيخ القرية قلماً عليه، ينتظره في المسجد
وحده، وما كاد يفتح فمه بالعتاب حتى أفرغ المختارُ أمامه
الجلباب. . . وجمحت عينَا الشيخ وهو ينظرُ إلى كلِّ تلك
الأوراقِ المِاليةِ ! لم يسبقُ له أن رآها بتلك الكثرة في حياته ! ومدَّ
يده ليتأكَّد أنّها حقيقيةٌ، ثمَّ نظرَ إلى المختارِ فزعاً وقال : «من
أين لك كلُّ هذه الأوراقِ المِاليةِ، يا بني؟» .

وكان في سؤال الشيخ اتهامٌ ضمّنيّ بتصرفٍ غير سليم .
فطمأنه المختارُ إلى أنّه وجدها على الشاطئ، وأنها ليست ملك
أحدٍ، وأنَّ هناك منها ما يملأُ غرفةً كبيرةً . . .

ودخل المختارُ غرفته، وعاد بكسرة خبزٍ كبيرةٍ، أخذَ يقضمُ
منها ويأكلُ بشراهةٍ، وقال للشيخ : «لم أكلُ طولَ النهارِ! نزلتُ

مع الفجرِ للاستحمامِ، فوجدتُ الشاطئَ مغطًى بها... .
والحمدُ لله أنَّ ريجاً لم تهبَّ، وإلا كانت حملتها إلى مكانٍ آخرَ».

فسألَ الشيخُ: «وماذا تنوي أن تفعلَ بها، يا ولدي؟».

فقالَ المختارُ: «لقد فكَّرتُ طولَ النهارِ وأنا أجمَعُها، ثمَّ وأنا صاعدٌ إلى هنا فيما يجبُ عمله، فاستقرَّ رأيي على أن ننزلَ هذه الليلةَ إلى الشاطئِ بالبغالِ والأكياسِ، وننقلها إلى هنا، وندفنها في مطمورةٍ، ونرهفَ أسمعنا، ومنتظر. . . فإذا لم يظهر لها صاحبٌ، تصرفنا فيها حسبَ الكتابِ والسنةِ. فما رأيك؟».

- هذا رأيي حسنٌ، يا ولدي، ولكنَّ هناك مشكلةٌ.

وانقبضْ صدرَ المختارِ:

- وما هي المشكلةُ؟

- إنَّ هذه النقودَ عمرها محدودٌ؛ فقد بلغني أنَّ الحكومةَ

طلبتْ من الناسِ استبدالَ العملةِ العربيةِ بالنقودِ الأسبانيةِ،

وحددتْ لذلكَ أسبوعينِ، وقد مرَّ منها يومانِ.

- وماذا سنفعلُ؟



فنهض الشيخ وقال :

- الآن نبدأ بنقل الأوراق من الشاطي إلى هنا، وغداً ينعدُّ سوق الخميس، وننزل إليه لتتسّم الأخبار.

وبعد صلاة العشاء نزلاً المنحدر وهما يقودان سبعة بغالٍ مربوطة بعضها إلى بعض. فملاً الأكياس، وحزماًها على ظهور البغال حزماً محكماً. ومع منتصف الليل كانا قد عادا إلى القرية، ودفنا الأكياس في عدة مطامير. وبعد صلاة الفجر نزل المختار إلى الشاطي، والتقط ما تبقى من الأوراق، حتى لا يبقى لها أثر بالمكان، وعاد لينزل مع الشيخ إلى السوق.

وفي سوق خميس الساحل، ربطاً بهيمتيهما، ودخلاً يتجولان بين الناس، وكان أول من التقياه الفقيه الطيب الكرفطي، إمام جامع العرائش الذي أرسل المختار إلى الشيخ، لقيهما باسمًا مستبشراً، وكأنه كان يبحث عنهما. وبعد أن سلّم على الشيخ توجه إلى المختار قائلاً: «جئت خصيصاً من أجلك!».



فخافَ المختارُ أن يكونَ بلغه خبرُ الكنزِ الذي عثرَ عليه،
ولكنَّ الرجلَ قالَ :

- أريدُ أن أكونَ أولَ من يبشركَ بخبرِ سيئركَ كثيرًا . . . وهو
يتعلَّقُ بأخويكَ العاقينِ، مرزوقٍ ومسعودٍ . أتذكرُ يومَ أنكرنا
أخوتكَ، وطرَدناكَ لِيَحْرِمَاكَ من نصيبِكَ في إرثِ أبيك ؟
وكانَ المختارُ يتحرَّقُ لمعرفةِ الخبرِ، فقالَ :

- نعم، أذكرُ. . .

فأضافَ الإمامُ :

- وكنتُ قلتُ لكَ : إنَّ اللهَ سينتقمُ لكَ منهما؟

فقالَ المختارُ :

- نعم ! نعم !

فقالَ الفقيهُ :

- لقد صدقَ وعده، وأنزلَ عليهما كارثةً لم تكنَ لهما في

الحسابانِ !

وزيادةً في التشويقِ قطعَ الفقيهُ حديثه، ودعاهما لشربِ
الشاي معه في مقهى السوق، وجلسَ الثلاثةُ حولَ طاولةٍ،
تحتَ شجرةٍ تينٍ عظيمةٍ كثيفةِ الظلِّ، وطلبَ الفقيهُ الشايَ،
وعادَ إلى حكايتهِ بالحماسِ نفسه :

- إنَّ ما حدثَ لِلصَّيْنِ لِدَلِيلٍ قاطِعٌ على وجودِ الله وعلى أَنَّهُ
يُمهَلُ ولا يهملُ . . . لقد أفقرهُما في أقلَّ من دقيقةٍ ! كلُّ المالِ
الذي جمعهُ في ثلاثينَ سنةً ذهبَ في رمشةِ عينٍ ! لأنَّه كانَ مبنياً
على مالٍ مسروقٍ، مالٍ حرامٍ !

وحكى لهما كيفَ أن الأَخوينَ الشريرينِ فوجئا بأمرِ الحكومةِ
بتغييرِ العملةِ، وكيفَ أَنهما جاءا ذاتَ صباحٍ بشاحنةٍ ونقلًا
كنزهُما إلى البنكِ المركزيِّ للمدينة، وأدخلَ الحمالونَ الرزمَ في
صناديقَ إلى قاعةِ البنكِ، فأقفلَ المديرُ البابَ حتَّى ينهيَ
العمليةَ الضخمةَ التي لمَ تخطرَ على بالِهِ ! وسلَّمَ المديرُ الرزمَ
لموظفيِ الشبايبِكِ لعدِّها .

وقالَ الإمامُ : «وما كادوا يفتحونَ جبالها حتَّى تبينَ لهمُ أنَّ
الأوراقَ قد لصقَ بعضها ببعضِ، وأَنَّها أصبحتُ قطعًا صلبةً

كأَجْرِ البناءِ ! وأخبرَ الموظفونَ المديرَ، فذهبَ بنفسه ليتأكَّدَ .
فأمسَكَ برزميةً وأخرى، وحاولَ فكَّ أوراقِها، دونَ
جدوى . . . فتوجَّهَ إلى الرجلينِ، وسألَهُما بعنفٍ : «أينَ كانتَ
هذهِ الفلوسُ ؟!» .

فقالَ مرزوقُ : «عندنا في خزانتنا . لماذا ؟» .

فقالَ المديرُ : «ولماذا لم تودِعَها أحدَ البنوكِ ؟!» .

ونظرَ كلُّ منهما إلى أخيه، ولم يجيبا . فقالَ المديرُ، وكأنَّه يلقي
في وجهيهما بقنبلةٍ :

- هذهِ الأوراقُ فاسدةٌ ! لم تعدْ صالحةً للاستعمالِ، ولا
يمكنُنَّا أنْ نأخذَها منكمُ !

ووقفَ الرجلانِ يرمشانِ أمامَ المديرِ، غيرَ فاهمينِ حقيقةَ ما
يقصدهُ، فقالَ مسعودٌ :

- وماذا سنفعلُ ؟

- ذلكما شغلُكمَا، ولكني أنصحُكمَا بالتخلُّصِ من هذا
الآجْرِ الصُّلبِ ؛ فالاحتفاظُ بالعملةِ الفاسدةِ مخالفٌ للقانونِ .

واصفرَّ وجهه مرزوقٍ، وأحسَّ بفراغٍ في ركبتيه، وسقطَ
مغشيًّا عليه! وجلسَ أخوه مسعودٌ إلى جانبه، وقد أحسَّ هوَ
الأخرُ بالضعفِ والوهنِ . . . وخافَ مديرُ البنكِ أن يموتَا
هناك، فطلبَ الشرطةَ.

وجاءَ رجالُ الأمنِ، فحملوهما وقناطيرَ نقوديهما المتحجرة
إلى منزلئيهما. وهناك تماثلاً من الصدمة، وانصرفاً إلى الأوراقِ
المالية، يحاولان فكَّها بجميعِ الوسائلِ؛ أغرقاها في الماءِ، ثم في
الزيتِ، وطبخاها، وضرباها بالهراواتِ، وبخراها في مباحِرِ
الكسكسِ، دونَ جدوى!

وفي الصباحِ حضرَ رجالُ الشرطةِ لئِنبهُوهما إلى وجوبِ
التخلُّصِ من العملةِ الفاسدةِ. فاضطَّرا إلى تأجيرِ من نقلها إلى
الميناءِ، ومنه إلى مَرَكِبٍ كبيرٍ أبحرَ بها داخلَ المحيطِ، وألقى بها
في جُنتِه، وهما ينظرانِ، ويتتجانِ على ضياعِ شقاءِ العمرِ كلَّه
وسنواتِ التقديرِ والحرمانِ!

وفي طريقِ العودةِ التفتَ مرزوقٌ إلى أخيه مسعودٍ، وكأنَّه
تذكَّرَ شيئاً، وقالَ له: «لا بدَّ أن هذا من عملِ ذلك الخبيثِ،
أخيناً المزعومِ المختارِ ابنِ الصَّرةِ!». .

فقال مسعودٌ: «أنا أعتقدُ أنَّه من عملِ الفقيهِ الطاهرِ الذي أرسلهُ إلينا برسالتِهِ التي مزقتُها أنتَ ورميتها! وكانت بها بعضُ الآياتِ القرآنيَّةِ. أتذكرُ؟» .

ولم يفتأ يتلاومانِ حتَّى افترقا عند بابِ شقتيهما . . .

وجاءَ دورُ المختارِ، ليفاجئَ الإمامَ الطيبَ الكورفطيَّ بخبرِهِ الخطيرِ، ونظرَ إلى شيخِ القريةِ مستأذناً، فأذنَ له في الكشفِ عن سرِّ الكنزِ الكبيرِ. وفوجئَ الإمامُ فعلاً بالخبرِ، وأخذَ يردُّدُ، وهو ينظرُ إلى السماءِ:

- سبحانَ الله! سبحانَكَ، يا جليلُ! ما أعدلَكَ، ياربَّ!
تُهْمَلُ وَلَا تُهْمَلُ!

فتساءل المختار:

- وما الذي ينبغي عمله بهذا المالِ في نظرِ الشرعِ؟

فلم يتردِّدِ الشيخُ في الجوابِ:

- هذا مالكَ! سرقةُ أخواكَ منك ومن المرحومةِ أمك، وردَّه

اللهُ إليك!

كَانَ يَتَكَلَّمُ بِحَمَاسٍ ، وَقَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ الْمُسْتَدِيرُ ، وَكَأَنَّهُ
اِكْتَشَفَ كَنْزًا أَعْظَمَ مِنْ كَنْزِ الْمُخْتَارِ :

- أَلَمْ تَرَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَتَصَرَّفُ لِتُعِيدَ الْمَالَ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ؟! أَلَمْ تَرَ
كَيْفَ جَعَلَ الْأُورَاقَ الْمَالِيَّةَ تَلْتَصِقُ ، وَتَصْبِحُ قِطْعًا صَلْبَةً ، لَمْ
يَنْفَعِ فِي فَصْلَهَا مَاءٌ وَلَا زَيْتٌ وَلَا طَهْيٌ وَلَا ضَرْبٌ؟! وَكَيْفَ
جَعَلَ الْأَخْوِينَ يَلْقِيَانِ بَهَا فِي الْبَحْرِ ، وَلَا يَحْرِقَانِهَا؟ وَذَلِكَ كَانَ
أَسْهَلَ ؛ فَلِأَفْرَانِ وَالْحَمَامَاتِ كَثِيرَةً! وَلَكِنَّهُمَا أَلْقِيَا بَهَا فِي الْبَحْرِ ،
لِأَنَّ بَيَاءَ الْبَحْرِ مَادَّةً تَذِيبُ اللَّصَاقَ ، وَتَفْصِلُ الْأُورَاقَ! ثُمَّ
كَيْفَ أَخْرَجَ تِلْكَ الْأُورَاقَ إِلَى ذَلِكَ الشَّاطِئِ ، وَفِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ
بِالذَّاتِ؟! وَجَعَلْتِ أَنْتَ ، دُونَ غَيْرِكَ ، تَنْزُلُ لِّلِاسْتِحْمَامِ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ خَاصَّةً؟! . . . مَصَادِفَاتٌ! أَنَا لَا أَقُولُ إِنَّهَا
مَصَادِفَاتٌ ، إِنَّهَا تَرْتِيبٌ مِنْهُ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ!
فَحَذَارِ أَنْ تَفَكَّرُوا فِي إِرْجَاعِ الْمَالِ إِلَيْهِمَا! .

فَحَرَّكَ الْفَقِيهَ رَأْسَهُ غَيْرَ مُوَافِقٍ ، وَقَالَ : لَا يَا وَلَدِي . هَذَا
الْمَالُ لَيْسَ لَكَ وَحْدَكَ ، بَلْ إِنْ لِأَخْوَيْكَ نَصِيبًا فِيهِ . وَأَقْرَحَ أَنْ
نَذْهَبَ إِلَى الْقَاضِي لِنَعْرِفَ قَوْلَ الشَّرْعِ فِيهِ .

ثم ابتسم وكأنه تذكر شيئاً مهماً ، وقال :

- على كلِّ حالٍ ، حتّى لو أردتَ إعادته إليهما فلن تستطيع !

فاستفسر الاثنان :

- لماذا ؟

- لأنَّ أحدهما ، وهو مرزوق ، سقط ميتاً بمجرد عودتهما من البحر ، بعدَ إلقاءِ شحنةِ الأوراقِ الفاسدةِ ! أمّا مسعودٌ ، فقد أصيبَ بشللٍ نصفيٍّ ، من جرّاءِ ارتفاعِ ضغطِ الدمِ . . . وهو الآن في غرفةِ الإنعاشِ بالمستشفى العموميِّ ، لا يجدُ من يرجمهُ غيرَ زوجتِهِ المسكينَةِ التي لا تفقهُ شيئاً . جميعُ مستخدميِ المستشفى يتفادونهُ ، لمعرفتهمُ بشُحِّه وتقتيره على نفسه وأهله ، وبُغضِهِ لعملِ الخيرِ !

وعزَّ على المختارِ أن ينتهي أخوه إلى هذا المصيرِ ، رغمَ كلِّ ما فعله به . . . وحاولَ البحثَ في ذاكرته عن التفاتةٍ وُدِّيَّةٍ قامَ بها أحدُ الأخوينِ نحوه ، كمداعبتهِ أو حملة ، أو إخراجِهِ للفسحةِ أو شراءِ حلوى أو لعبةٍ له ، فلم يجدُ ! لم يتذكَّر إلا وجهينِ عابسينِ في وجهِهِ ، وعينينِ حاقتينِ تنظرانِ إليه ، وصوتينِ ينبحانهِ كلما اقتربَ منهما ! وأيقظهُ الشيخُ من شروده بسؤالِهِ :

- ماذا تنوي أن تفعل بنصيبك من المال؟

- لا أدري . حوائجي كلها مقضية ، والحمد لله ، في عملي

بدشِرِ الرواح .

فقال الإمام مداعباً :

- لا تشغل بالك بشيء ، يا بني ؛ المال يفتح أبواب صرفه !

ولا بدّ أن الله الذي أعاده إليك ، سيلهمك أحسن الوسائل
لإنفاقه .

ووضع يده على يد المختار ، وقال :

- أمّا الآنَ فعلينا التفكيرُ في تحويلِ الأوراقِ الماليّةِ إلى عملةٍ

مغربيّة .

ونظرَ حوالينّه ، وانحنى ليهمسَ لهما :

- لن نُبدّلَ في العرائشِ إلا مبلغاً معقولاً ، حتّى لا نشيرَ

الشكوكَ . والباقي سنحوّلهُ في بنوكِ مدنٍ أخرى ، مثلِ أصيلةِ

والقصرِ الكبيرِ وطنجةَ وتطوانَ والناظورِ .

وتأثّر المختارُ بدفءِ المحبّةِ والرعايةِ الأبويةِ التي يكنّها له
الرجلانِ، فدمعتْ عيناهُ، وقالَ :

- لا أدري كيفَ أشكركُما ! أنا لا أهلَ لي، فأنتمَ منَ الآنِ
أهلي، وهذهِ الفلوسُ هيَ لَكُما، كما هيَ لي، وسأفعلُ كلَّ ما
تنصحانيني بهِ . . .

فقالَ الشيخُ مقترحًا :

- كنتَ دائماً تحلمُ بإتمامِ دراستكَ بالقرويينَ، وهذهِ
فرصتُك ! وستتيحُ لكَ مدّةُ الدراسةِ وقتًا كافيًا للتفكيرِ فيما
تفعلهُ بالمالِ .

فقالَ المختارُ :

- هذا اقتراحُ حسنٌ، إلا أنني أودُّ أن أقومَ بعملٍ، وأريدُ أن
توافقاني عليهِ . . .

وأنصتًا إليهِ باهتمامٍ، فقالَ :

- أريدُ أن أنقلَ أخي مسعودًا إلى عيادةِ خاصّةِ، إكرامًا
لذكرى والدي، رِحمَهُ اللهُ، وللرحمِ التي بيننا .



وتأثّر الرجلان لمعينِ الرحمةِ الفيّاضِ في قلبِ الفتى، وقالَ
الفقيهُ:

- هذه التفاتةٌ لا تصدرُ إلا عن قلبٍ كبيرٍ، يا ولدي! هنيئًا
لك!

وعجزَ لسانُ الشيخِ عن التعبيرِ عن مشاعره، فأمسكَ رأسَ
المختارِ وقبَّلهُ . . .